

مواظب من نهج البلاغة



أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة



www.islamiccoa.com/lms



+989217854824

مواظب من نهج البلاغة

مركز نون للتأليف والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين وقدوةً للمؤمنين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيّين الطاهرين.

بعد أن لاقى كتاب الموعظة الصادر عن مركز نون للتأليف والترجمة في جمعية المعارف الإسلامية صدًى إيجابياً لدى العلماء الكرام، سعى المركز لوضع اثنتي عشرة موعظة جديدة لتكون مادةً وعظيةً بين أيديهم. وهذه المواعظ المختارة مستقاة من حاجة بعض مجتمعاتنا وبيئاتنا، ومما قد يعانيه بعض الأخوة الأعزّاء، ولم نتعرّض لصلب المشاكل الاجتماعية الجزئية، تاركين ذلك لوعي وخبرة العلماء الكرام، مكثفين بالإشارة؛ لأنّ اللبيب تغنيه الإشارة، وعليه أن يفرّع الأمثلة من البيئة التي يعيشها.

وحيث إنّ هذه المواعظ لا تُعطى إلّا لأهلها، ولمن يريد تهذيب نفسه والرقى بها ومجتمعها نحو مجتمع أفضل وأسمى، حاولنا قدر الإمكان إغناء هذه المواعظ بالآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، لأنّها المعيار الفاصل في عمليّة التكامل الإنسانيّ. وقد اخترنا بعض الحِكَم والمواعظ من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام من النهج الشريف، لما لكلّماته الصادرة من ينبوع الحكمة والموعظة من أثر على النفوس الإنسانيّة الساعية نحو الرقيّ والكمال.

الدرس الاول: حكمة الاختبار

عن أمير المؤمنين عليه السلام ..: "ولكن الله يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبدهم بأنواع المجاهد، ويتبليهم بضروب المكار، إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً للتدلل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتحة إلى فضله، وأسباباً دُللاً إلى عفوهِ."

نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢

الامتحان الإلهي سنة خالدة

يشير الإمام عليّ عليه السلام إلى حقيقة وسنة إلهية جارية على الناس في حياتهم الدنيوية، وهي سنة الاختبار

والامتحان، وهي حقيقة كثيراً ما أشار لها القرآن الكريم.

يقول تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ

الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَعَلَّمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾

ويقول سبحانه: ﴿وَلْيَبْلُغْ لَكُمْ بَشِيرٌ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَنَشِرِ الصَّابِرِينَ﴾ *

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ

المُتَدُونُ ﴿٢﴾ .

"يفتنون" مشتقّ من "الفتنة" وهي في الأصل وضع الذهب في النار لمعرفة مقدار خلوصه، ثمّ أطلق هذا التعبير على كلّ

امتحان ظاهريّ ومعنويّ.

١- العنكبوت: ٢. ٣

٢-البقرة: ١٥٥ . ١٥٧ .

لماذا الاختبار الإلهي؟

في مجال الاختبار الإلهي تطرح بحوث كثيرة. وأوّل ما يتبادر للذهن في هذا المجال هو سبب هذا الاختبار. فنحن نختبر الأفراد لنفهم ما نجهله عنهم. فهل أنّ الله سبحانه وتعالى بحاجة إلى مثل هذا الاختبار لعباده، وهو العالم بكلّ الحفايا والأسرار؟! وهل هناك شيء خفي عنه حتّى يظهر له بهذا الامتحان؟! والجواب: إنّ مفهوم الاختبار الإلهي يختلف عن الاختبار البشريّ.

اختبارنا البشرية تستهدف رفع الإجماع والجهل، والاختبار الإلهي قصده "التربية" وإيصال الإنسان إلى الكمال بإخراج الدفائن المكونة فيه. كثيراً ما تحدث القرآن عن الاختبار الإلهي، باعتباره سنة كونية مستمرة من أجل تفجير الطاقات الكامنة، ونقلها من القوة إلى الفعل، وبالتالي فالاختبار الإلهي من أجل تربية العباد، فكما أنّ الفولاذ يتخلّص من شوائبه عند صهره في النار، كذلك الإنسان يخلص وينقى في خضمّ الحوادث، ويصبح أكثر قدرة على مواجهة الصعاب والتحديات.

الاختبار الإلهي يشبه عمل زارع خبير، ينثر البذور الصالحة في الأرض الصالحة، كي تستفيد هذه البذور من مواهب الطبيعة وتبدأ بالنمو، ثم تصارع هذه البذرة كل المشاكل والصعاب بالتدريج، وتقاوم الحوادث المختلفة كالرياح العاتية والبرد الشديد والحز اللافح، لتخرج بعد ذلك نبتة مزهرة أو شجرة مثمرة، تستطيع أن تواصل حياتها أمام الصعاب.

ومن أجل تصعيد معنويات القوّات المسلّحة، يؤخذ الجنود إلى مناورات وحرب اصطناعية، يعانون فيها من مشاكل العطش والجوع والحرّ والبرد والظروف الصعبة والحواجز المنيعة. وهذا هو سرُّ الاختبارات الإلهية.

يقول سبحانه في موضع آخر من كتابه العزيز: ﴿وَلَيْبَتِي اللَّهُ مَا فِي صُورِكُمْ

ويقول عليه السلام: "إِنَّ اللَّهَ يَتَلَي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ، وَإِعْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيُتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلَعَ مُقْلَعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيُزْجَرَ مُزْجَرٌ".^٩



ليوفروا لهم ولجتمعههم مثل هذه الحياة... وهذا نوع آخر من الامتحان.

المصائب، والآلام والهموم، والحروب والنزاعات، والقحط والغلاء، وما تثيره الحكومات الأنانية لتجذبهم إليها وتستعبدهم به وأخيراً الأمواج النفسية القوية والشهوات، كلٌّ منها وسيلة للامتحان في طريق عباد الله، والسائرين في الميادين التي تميّز فيها شخصيّة الأفراد وتقواهم وإيمانهم وطهارتهم وأمانتهم وحرّيتهم... الخ.

ولكن لا طريق للانتصار في هذه الامتحانات الصعبة لاجتيازها إلا الصبر والجدّ والسعي المستمر، والاعتماد على لطف الله سبحانه.

ومن الطريف أننا نقرأ حديثاً عن أحد المعصومين في أصول الكافي في تفسير الآية ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ يقول فيه: "يُفْتَنُونَ كما يُفْتَنُ الذهب، ثم قال: يخلصون كما يخلص الذهب"^{١٥}.

وعلى كلِّ حال، فإنَّ طالبي العافية الذين يظنُّون أنَّ إظهار الإيمان كافٍ بهذا المقدار ليكونوا في صفوف المؤمنين وفي أعلى عليين في الجنة مع النّبيين والصّديقين والشهداء والصالحين، فهم في خطأ كبير.

وعلى حدّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: "والذي بعثه بالحقّ لتبليّن بلبلة ولتغريّن غريلة، ولتساظنّ سوط القدر حتّى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم"^{١٦}.

١٥- الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٣٧٠.

١٦- نهج البلاغة، الخطبة ١٦.

صبر وتحمل الإمام عليّ عليه السلام

بعد أحداث التحكيم في "دومة الجندل" أصبح الكثير من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام بالأمس أعداءه اليوم، وهم الخوارج الذين خرجوا عن طاعته ورفعوا شعار "الحكم لله لا لك يا علي" وذلك بعد واقعة التحكيم. ولقد كان الإمام يعاني منهم الأمرين خصوصاً أنهم كانوا يعيشون في الكوفة وبين أتباعه.

ويروى أَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان جالساً في أصحابه إذ مرَّت بهم امرأة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم، فقال عليه السلام: "إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِخٌ، وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هَبَإِهَا، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيَلَامِسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَأَمْرَأَةٍ."

فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفاقه.

فوتب القوم ليقتلوه.

فَقَالَ: رُوَيْدًا، إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ! ١٧٠.

وهذه الحادثة تبين لنا طبيعة الحياة السياسية التي أشاعها أمير المؤمنين عليه السلام في دولته الفتية بالرغم من كل الصعوبات والعراقيل التي أوجدها معارضوه في طريق هذه الدولة. فهذه الحادثة تبين:

١- سيطرة أمير المؤمنين عليه السلام على البلاد.

٢- الجوّ الديمقراطيّ الذي أشاعته حكومة الإمام عليه السلام.

٣- سعة صدر الإمام عليه السلام وعفوه حتى عن أعدائه.

٤- إضافة إلى مسألة أخلاقية تبيّنها الحادثة وهي أسلوب القضاء على فوران الغريزة الجنسية بالالتجاء إلى الطريق الحلال في إشباعها.

١٧- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٦٣.

أخلاق الشيطان

إِنَّ الْإِنْسَانَ الْمُؤْمِنَ كَمَا أَنَّهُ مَدْعُوْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَخْلَاقَهُ لِيَتَخَلَّقَ بِهَا: "تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ" كَذَلِكَ هُوَ مَدْعُوْ مَعْرِفَةِ عَدُوِّهِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ لِيَتَّبِعَهُ عَنْ أَخْلَاقِهِ.

والشيطان هو كلٌّ موجود مؤذٍ مغوٍ طاعٍ متمردٍ، إنساناً كان أم غير إنسان، وإبليس اسم الشيطان الذي أغوى آدم ويزبص هو وجنده الدوائر بأبناء آدم دوماً^١.

وللشيطان أخلاق وصفات منها:

١- الاستكبار والعصية

ففي خطبة لأُمير المؤمنين عليه السلام: وهي تتضمَّن ذمَّ إبليس لعنه الله، على استكباره و تركه السجود لآدم عليه السلام، و أنَّه أوَّل من أظهر العصية و تبع الحمية، و تحذير الناس من سلوك طريقته .

"فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ. إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَحَرَ عَلَى آدَمَ بَخْلَفِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ. فَعَدُّوا اللَّهَ إِمَامًا الْمُتَعَصِّينَ، وَسَلَفَ الْمُسْتَكْبِرِينَ،

١- انظر، الأمثل، الشيخ مكارم الشيرازي، ج ١، ص ١٧١.

الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصِيَّةِ، وَنَارَ اللَّهِ رِذَاءَ الْجَبْرِتِ، وَادْرَعَ لِبَاسَ التَّعْزِزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّدْلِيلِ.^{٢٣}

لذلك على الإنسان المؤمن أن لا يتعصّب إلاّ للحقّ والدين، ويتعد عن أيّ عصبية أخرى حتّى لو كان لأهله وإخوته وأقاربه.

۲- اتباع الهوى

من صفات الشيطان اتّباع هواه، فهو يريد عبادة ربّه حسب هواه، فعن الإمام الصادق عليه السلام: "أمر الله إبليس بالسجود لآدم، فقال: يا ربّ وعزّتك إنّ أعفيتني من السجود لآدم لأعبدنك عبادة ما عبدك أحد قطّ مثلها، قال الله جلّ جلاله: إنّني أحبّ أن أطاع من حيث أريد"^٣.

وكم نرى من الناس من يتّصف بهذه الصفة حيث يريد ديناً حسب ما تشتهي نفسه، فبعضهم تقول له أطع الله، صلّ الصلوات الخمس، زكّ، خمس، انتّه عن المعاصي، يجب: إنّما الإيمان في القلب، وينسى أو يتناسى أنّ الإيمان بالقلب لا يكفي إن لم يلزمه العمل الصالح. لذلك نرى في كثير من الآيات الكريمة قرناً دائماً بين الإيمان والعمل الصالح، يقول تعالى: ﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ وَالْعَصْرَ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^٤.

ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ .

فنلاحظ في الآية الشريفة أنَّ أيَّ عملٍ للصالحات لا بدَّ حتَّى يؤثِّر ثمرته وهي دخول الجنة أن يكون مقروناً بالإيمان.

٢- نهج البلاغة، الخطبة، ١٩٢،

٣-بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢، ص ٢٦٢

٤-العصر: ١. ٣

٥- النساء: ١٢٤.

خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿٧﴾

وعن الإمام علي عليه السلام: "وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ"^٨.

وعنه عليه السلام: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسْنِي لَكُمْ طُرُقَهُ، وَ يُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً"^٩

ما يساعد الشيطان على الإنسان

ثم إن هناك أموراً عديدة تساعد الشيطان على الإنسان منها:

١- مجالسة أهل الهوى

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "وَعَلِّمُوا أَنْ يَسِيرَ الرِّيَاءُ شِرْكُكُمْ، وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الْهَوَى مَنَسَةُ لِلْإِيمَانِ، مُحَضَّرَةٌ لِلشَّيْطَانِ"^{١٠}.

من هنا حذر الإمام من مجالسة أهل الأسواق لأن أكثرهم أهل هوى: "وَأَيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ، فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ، وَمَعَارِضُ الْفِتَنِ^{١١}".

٢- الافتراق عن جماعة أهل الحق

فَعَنهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ، وَصَرَبَ بِهِ تَيْهَهُ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذَّنْبِ"^{١٢}.

فلذلك لا بدّ أن يحرص الإنسان على البقاء في أجواء أهل الحق والذكر وعمل الخير ولا يشدّ عنهم كي لا يقع في شرك ومصيدة إبليس اللعين.

٧-النور: ٢١

٨- نهج البلاغة، الخطبة، ١٥١

٩-م. ن، الخطبة، ١٢١

١٠-م. ن، الخطبة، ٨٦.

١١-م. ن، الكتاب ٦٩،

١٢-م. ن، الخطبة ١٢٧.

٣- الظلم والكبر

فَعَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "فَاللَّهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبُعْثِ، وَ آجِلِ وَخَامَةِ الظُّلَمِ، وَ سُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبَرِ، فَإِنَّهَا مَصِيدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَ مَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ"^{١٣}.

فلذلك لا بدّ من الاجتناب عن الظلم والكبر كي لا يقع المؤمن في مكيدة إبليس.

٤- الانشغال بعيوب غيره عن عيوب نفسه

فَعَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، وَ مَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَ زَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ"^١.

وهذه آفة عظيمة عند الإنسان حيث يلقي بالملامة دائماً على غيره ويبرئ نفسه، بينما نجد الأولياء يقولون: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^{١٥}.

٥- الوقوع فى الفتنة

فَعَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَيْسِ الْبَاطِلِ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَايِدِينَ وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِعْفٌ، وَمِنْ هَذَا ضِعْفٌ، فَيَمْرَجَانِ فَهَذَاكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى" ١٦.

فلا بدّ من المعرفة والتعلم والوعي لكي يستطيع الإنسان أن يميّز بين الحقّ والباطل، وعليه بالرجوع إلى العلماء وإلى المخلصين الواعين من المؤمنين كي ينصحوه فلا يقع في الفتنة وبالتالي يضلّ الطريق.

١٣- نهج البلاغة، الخطبة، ١٩٢

١٤-م. ن، الخطبة، ١٥٧

۱۵- یوسف: ۵۳

١٦- نهج البلاغة، الخطبة ٥١.

توبة النبي آدم عليه السلام

خلق الله آدم عليه السلام ووهبه المعرفة التي يفرق بها بين الحق والباطل، وأسكنه سبحانه داراً أرغد فيها عيشته، وآمن فيها محلته، وحذره إبليس وعداوته.

ولكن إبليس اللعين انتهز منه غرة فأغواه، وكان الحامل للشيطان على غواية آدم حسده له على الخلود في دار المقام ومرافقته الأبرار من الملائكة الأطهار، فأدخل عليه الشك في أن ما تناول منه سائغ التناول بعد أن كان قد نجاه الله عن تناول ما يوجب له اليقين بحظره عليه.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "اغتره نفاسةً عليه بدار المقام، ومرافقة الأبرار، فباع اليقين بشكه، والعزيمة بوهنه، واستبدل بالجذل وجلاً، وبالأغترار ندماً. ثم بسط الله سبحانه له في توبته، ولقاه كلمة رحمته، ووعدته المرد إلى جنته، فأهبطه إلى دار البلية، وتنازل الدرّة"^{٢٧}.

فقد أخرجهما مما كانا فيه وغفر خطيئتهما بعدما تابا ولم يرجعهما إلى الجنة^{٢٨}، بل أهبطهما إلى الدنيا ليحييا فيها. ولو لم تكن الحياة الأرضية مع أكل الشجرة وظهور السوءة حتماً مقضياً، والرجوع إلى الجنة مع ذلك محالاً، لرجعا إليها بعد حط الخطيئة، فالعامل في خروجهما من الجنة وهبوطهما هو الأكل من الشجرة وظهور السوءة، وكان ذلك بوسوسة الشيطان اللعين^{٢٩}.

٢٧- نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٠.

٢٨- يعتقد بعض الناس أن الجنة التي كان فيها آدم هي جنة الخلد، وهذا القول غير سليم حيث تنفيه الكثير من الروايات منها ما روي عن أبي عبد الله بعد أن سئل عن جنة آدم، فقال: جنة من جنات الدنيا،

يطلع عليها الشمس والقمر، ولو كانت من جنات الخلد ما خرج منها أبداً. نور الثقلين ١: ٦٢.

٢٩- تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ١، ص ١٩٣. ١٩٧.

الدرس الثالث: الشيطان اضعف ركنا

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَاةِ، وَمُجَاهَدَةِ الصَّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ".

نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

ما يساعد الإنسان على الشيطان

لقد أشرنا في الدرس السابق كيف يستطيع إبليس عبر خطوات أن يوقع الإنسان في الهاوية، ولا بدّ من التعرف إلى ما يساعد هذا الإنسان للتغلب على إبليس، فإنّ الله سبحانه أودع هذه القوّة في الإنسان، ليستطيع الوصول إلى الجنّة بعد هذا الامتحان الكبير فيستحقّ بذلك رضا الله والجنّة. نذكر منها:

١- العبادة

في خطبة للإمام عليّ عليه السلام بعد أن يحذّر من الشيطان يذكر ما يحرس منه فيقول: "وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات، ومجاهدة الصيّام في الأيام المفروضة".¹

٢- الدعاء

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْكُرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

١- نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

٢- غافر: ٦٠.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoo.com/im

الدرس الرابع: اجتناب الشبهات

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "إِنَّ مِنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ، حِجْزَتَهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشَّبَهَاتِ."

نهج البلاغة، الخطبة: ١٦.

صِرَاحَت: کشف .

العبر: بكسر ففتح جمع عبرة :الموعظة .

المثالات: العقوبات .

الشبهات: جمع شبهة: الالتباس، ما يلتبس فيه الحقّ بالباطل والحلال بالحرام.

إِنَّ قَوْلَ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَمْرَيْنِ لَا بَدَّ مِنْ مَرَاعَاتِهِمَا لِمَنْ يَرِيدُ السَّلُوكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهَما:

١ - الاعتبار

"إِنَّ مِنْ صرَّحت له العبر عمَّا بين يديه من المثالات."

(الماضي والحاضر) يكشف عن مسؤولية الأجيال القادمة، ويوقفها على واجبها. لأنّ الارتباط بين هذين الزمانين

وهذا يعني أنَّ الله في الأمم سنناً لا تختصّ بهم، بل هي سنن وقوانين عامّة في الحياة تجري على الحاضرين كما جرت على الماضين سواء بسواء، وهي سنن للتقدّم والبقاء وسنن للتدهور والانحدار، التقدّم للمؤمنين المتّقين المجاهدين المتّحدين الواعين، والتدهور والانحدار للأمم المتفرّقة المشتّتة الكافرة الغارقة في الذنوب والآثام.

إنّ للتاريخ أهميّة حيوية لكلّ أمة من الأمم، لأنّ التاريخ يعكس الخصوصيات الأخلاقية والأعمال الصالحة وغير الصالحة، والأفكار التي كانت سائدة في الأجيال

السابقة، كما يكشف عن علل سقوط المجتمعات أو سعادتها، ونجاحها وفشلها في العصور الغابرة المختلفة.

وبكلمة واحدة: إنّ التاريخ مرآة الحياة الروحية والمعنوية للمجتمعات البشرية وهو لذلك خير مرشد مخدّر للأجيال القادمة.

إِنَّ آثارَ الْمَاضِينَ خَيْرٌ عِندَ الرَّحْمَنِ مِنَ الْقَادِمِينَ، وَبِالنَّظَرِ فِيهَا وَالْإِعْتِبَارَ بِهَا يُمْكِنُ لِلنَّاسِ أَنْ يَعْرِفُوا الْمَسِيرَ الصَّحِيحَ لِلتَّوْحِيدِ وَالْحَيَاةِ. وَلِهَذَا نَجِدُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَدْعُو الْمُسْلِمِينَ إِلَى السَّيْرِ فِي الْأَرْضِ وَالنَّظَرِ بِإِمْعَانٍ وَتَدَبُّرٍ فِي آثَارِ الْأُمَمِ وَالشُّعُوبِ الَّتِي سَادَتْ ثُمَّ بَادَتْ إِذْ يَقُولُ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾^١، ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾^٢.

وقد أشار الإمام عليّ أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه الحقيقة في كلمات وخطب عديدة منها قوله: "فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله وصولاته، ووقائعه ومثلاته واتّعظوا بمثاوي حدودهم، ومصارع جنوبهم واستعيزوا بالله من لواقع الكبر كما تستعيزونه من طوارق الدهر..."

واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلثات بسوء الأفعال، وذميمة الأعمال، فتذكروا في الخير والشر أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم فإذا تفكرتم في تفاوت حالهم فالزموا كل أمر لزم العزة به شأنهم وزاحت الأعداء له عنهم، ومدّت العافية به عليهم، وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حبلمهم من الاجتناب للفرقة والالزوم للألفة والشحاض عليها، والتواصي بها، واجتنبوا كل أمر كسر فقرتهم وأوهن ممتهم، من تضاعن القلوب، وتشاحن الصدور وتدابير

۱- آل عمران: ۱۳۷

٢-الحشر: ٢.

النفوس، وتخاذل الأيدي" ...^٣.

ولذلك نرى القرآن الكريم عامراً بقصص الماضين، يقول سبحانه: ﴿تِلْكَ الْأَمْثَلُ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾^٤، ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^٥، ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾^٦، ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^٧، ويقول أيضاً: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^٨.

٢ - التقوى

"حجزه التقوى عن التَّحَمُّمِ فِي الشَّبَهَاتِ."

والوجه فيه هو أنّ الإنسان العاقل إذا اعتبر بما وقع من الحوادث على الأمم الماضية في القرون السّالفة وعلم أنّ العلة والسبب فيها لم تكن إلّا العصيان والمخالفة لأوامر الله تعالى وارتكاب المنهيات وعدم الانقياد للتّواميس الشرعية التي بعث الله تعالى الأنبياء لأجلها فلا جرم يكون هذا الاعتبار مانعاً له عن الدخول في السّبّات فضلاً عن الحرّمات .

يقول الإمام الخميني قدس سره "...: للورع مراتب كثيرة: فورع العوام: الاجتناب عن الكبائر، وورع الخواصّ: الابتعاد عن الشبهات خشية الوقوع في المحرّمات. وورع أهل الزهد: الاجتناب عن المباحات للابتعاد عن وزرها. وورع أهل السلوك: ترك النظر إلى الدنيا لأجل الوصول إلى المقامات. وورع المجذوبين: ترك المقامات لأجل الوصول إلى باب

٣- نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢

٤-الأعراف: ١٠١

۵-هود: ۱۲۰،

٩٩, :ط-٦

٧-الأعراف: ١٧٦

۸- یوسف: ۱۱۱.

الله، ومشاهدة جمال الله. وورع الأولياء: الاجتناب عن التوجّه إلى الغايات^٩.

وقد أُشير إلى ورع الخواصّ في روايات عديدة منها: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " حلال بين و حرام بين وشبهات بين ذلك فمن ترك الشّبهات نجا من المحرّمات و من أخذ بالشّبهات ارتكب المحرّمات و هلك من حيث لا يعلم"^{١٠} و ذلك لأنّ الوقوف عند الشّبهات خير من الاقتحام في الهلكات.

وعن التَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ حَالَهُ وَحَرَامَهُ وَالْمَشْتَبَهَاتُ بَيْنَ ذَلِكَ كَمَا لَوْ أَنَّ رَاعِيًا رَعَى إِلَى جَانِبِ الْحِمَى لَمْ يَثْبُتْ غَنَمُهُ أَنْ تَقَعَ فِي وَسْطِهِ فَدَعُوا الْمَشْتَبَهَاتُ"^{١١}.

وعن فضيل بن عياض عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: مَنْ الورع من الناس؟ قال عليه السلام: "الذي يتورّع من محارم الله و يجتنب هؤلاء فإذا لم يتّق الشّبهات وقع في الحرام و هو لا يعرفه." ١١

وعن أبي عبد الله عليه السلام: "أروع الناس من وقف عند الشبهة" ...^{١٣}.

ازدواج الشخصية

إِنَّ هُنَاكَ أَنَاثًا يَمْلِكُونَ شَخْصِيَّةَ مَرْذُوجَةٍ، فَهَمُ أَتَقِيَاءُ وَرَعُونَ مُحْتَاطُونَ فِي أُمُورٍ وَغَيْرِ مَبَالِينِ فِي أُمُورٍ أُخْرَى.

٩- انظر: الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، الحديث ٢٩، ص ٤٢٥ - ٤٢٦،

١٠- الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٦٨

١١-بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٢، ص ٢٥٩

١٢ - مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٢، ص ١٧٧

١٣-م. ن، ج ١١، ص ٢٧٨.

أدرك (رضوان الله عليه) أنّ هذه الوليمة كانت مقدّمة لإمضاء هذا السند.

لماذا لم تأتِ بهذا السند قبل الغداء حتّى لا ألوث يدي بهذا الطعام؟..

١٩- سيماء الصالحين، ص ٤٧.

عمّار والمغيرة

قال أمير المؤمنين عليه السلام لعَمَّار بن ياسر (رضي الله عنه) وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً: "دَعُهُ يَا عَمَّارُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَتْهُ الدُّنْيَا، وَعَلَى عَمَدٍ لَيْسَ عَلَى نَفْسِهِ، لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَازِراً لِسَقْطَاتِهِ."

قال ابن أبي الحديد: إنّ أصحابنا غير متفقين على السكوت على المغيرة، بل أكثر البغداديين يفسقونه، ويقولون فيه ما يقال في الفاسق، ولما جاء عروة بن مسعود الثقفي إلى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عام الحديبية نظر إليه قائماً على رأس رسول الله مقلداً سيفاً، فقيل: من هذا؟

قيل: ابن أخيك المغيرة.

قال: وأنت ها هنا يا غدر! والله إنني إلى الآن ما غسلت سؤأتك.

وكان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح، ولا إنابة وتبّة جميلة. كان قد سحب قوماً في بعض الطرق، فاستغفلهم وهم نيام، فقتلهم وأخذ أموالهم، وهرب خوفاً أن يُلحق فيقتل، أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم، فقدم المدينة فأظهر الإسلام، وكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا يردّ على أحد إسلامه، أسلم عن علّة أو عن إخلاص، فامتنع بالإسلام، واعتصم وحمى جانبه^{٢٠}.

٢٠- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٨.

الدرس الخامس: اتباع الهوى وطول الامل

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ وَ طَوْلُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ فَيَصِدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَ أَمَّا طَوْلُ الْأَمَلِ فَيُئْسِي الْآخِرَةَ."

نهج البلاغة، الخطبة ٤٢.

والحاجة إلى جمع المال إذا أبطلها الإنسان وزهد فيها زهداً سليماً، أو انكبَّ على الجمع من أيِّ طريق وبأيِّ وسيلة ولو كانت من حرام كالسرقة والغصب والاحتيال والربا، فهذا وذاك من اتِّباع الهوى.

وَحَبَّ الحُرِّيَّةَ إِذَا أَبْطَلَهُ الْإِنْسَانُ وَأَصْبَحَ يَأْلَفُ الْعُبُودِيَّةَ لِلْإِسْتِعْمَارِ مِثْلًا، أَوْ أَرْخَى لِنَفْسِهِ الْعِنَانِ دُونَ ضَابِطٍ، فَكِلَاهُمَا مِنْ أَتْبَاعِ الْهَوَى.

وقد حذرنا الله تعالى من اتباع الهوى في كثير من آيات القرآن، منها، قال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَفَّيْهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^١ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ^٢.

"عباد الله: لا تركبوا إلى جهالتكم، ولا تنقادوا لأهوائكم، فإنّ النازل بهذا المنزل نازل بشفا جرف هار، ينقل الرّدى على ظهره من موضع إلى موضع". . .

٤-م. ن، الخطبة ١٠٥.

الغرائز والميول والاحتياجات.

وقد حذر الإمام علي عليه السلام من أول الهوى وبداياته: "إياكم وتمكن الهوى منكم، فإن أوله فتنة وآخره محنة"^٦، وعنه عليه السلام: "أول الشهوة طرب، وآخرها عطب"^٧، وعنه عليه السلام: "إياكم وغلبة الشهوات على قلوبكم، فإن بدايتها ملكة، ونهايتها هلكة"^٨، وعنه عليه السلام: "كم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً"^٩.

فعلى الإنسان المؤمن أن يحذر الهوى كما يحذر أعداءه، فغن الإمام الصادق عليه السلام: "احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيء أعدى للرجال من اتباع أهوائهم، وحصائد ألسنتهم"^{١٠} و"أشجع الناس من غلب هواه"^{١١} كما عن رسول الله.

مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِقَوْمٍ يَتَشَايِلُونَ حَجْرًا، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: نَخْتَبِرُ أَشَدَّنَا وَأَقْوَانَا، فَقَالَ: أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَشَدِّكُمْ وَأَقْوَاكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "أَشَدُّكُمْ وَأَقْوَاكُمْ الَّذِي إِذَا رَضِيَ لَمْ يَدْخُلْهُ رِضَاهُ فِي إِثْمٍ وَلَا بَاطِلٍ، وَإِذَا سَخَطَ لَمْ يَخْرِجْهُ سَخَطُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ، وَإِذَا مَلَكَ لَمْ يَتَعَاطَ مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ".^{١٢}

فَإِذَا كُنَّا نَزِيدُ الْجَنَّةِ فَعَلِينَا بِنَهْيِ النَّفْسِ عَنِ الْهَوَى، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

*** فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى** ﴿١٣﴾.

الأمر الثاني: طول الأمل

ينبغي الإلفات إلى أنّ أصل (الأمل) ليس فقط غير مذموم بل له دور مهمّ في إدامة حركة الحياة والتطور البشري في الأبعاد المادية والمعنوية.

٦- عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ١٠١

٧-م. ن، ص ١١٢

٨-م. ن، ص ١٠١

٩-جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج ١٣، ص ٢٩٩،

١٠- الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣٣٥.

١١- جامع أحاديث الشيعة، ج ١٣، ص ٢٥٠.

١٢- وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ١٥، ص ٣٦١

١٣-النازعات: ٤٠ . ٤١ .

إذا سُلِبَ الأمل من قلب (الأُمِّ) فإنَّها لا تجد دافعاً لإرضاع طفلها وتحمل أنواع المشقَّة والألم بتربيته وتنشئته كما ورد هذا المعنى في الحديث النبوي الشريف "الْأَمَلُ رَحْمَةٌ لِأُمِّتِي وَلَوْلَا الْأَمَلُ مَا رَضِعَتْ وَالِدَةٌ وَلَدَهَا وَلَا غَرَسَ غَارِسٌ شَجَرَهَا"^١.

إِنَّ من يعلم مثلاً بأنّ هذا اليوم هو آخر يوم من حياته أو أنّه سيموت بعد أيّام قليلة ويغادر الدنيا فإنّه سيترك جميع ما في يده من أعمال ونشاطات في دائرة المعيشة والعلاقات الإجتماعية. وفي الحقيقة فإنّ ذلك يعني انطفاء شعلة الحياة. ولعلّ أحد الأسباب لخفاء الأجل هو أن يبقى الإنسان في حالة الأمل والرّجاء ويعيش الحركة الطّبيعية في أمور المعيشة.

عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : " إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها"^{١٥}.

وعن المسيح عليه السلام أنّه: "بينما عيسى ابن مريم عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة ويشير الأرض، فقال عيسى عليه السلام: اللهم انزع منه الأمل، فوضع الشيخ المسحاة واضطجع فلبث ساعة، فقال عيسى: اللهم اردد إليه الأمل، فقام فجعل يعمل، فسأله عيسى عن ذلك، فقال: بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي: إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير؟ فألقيت المسحاة واضطجعت، ثم قالت لي نفسي: والله لا بدّ لك من عيش ما بقيت، فقممت إلى مسحاتي" ١٦.

ومن هنا قال الشاعر:

أعَلِّلْ النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

فالأمل ضروري لإيجاد التحرك أكثر لدى أفراد المجتمع من موقع النظر إلى المستقبل في حركة الحياة.

١٤- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٤، ص ١٧٣

١٥- كنز العمال، المتقى الهندي، ج ٣، ص ٨٩٢

١٦- انظر: بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ١٤، ص ٣٢٩.

ولكن عندما امتدّت إليهم الآمال الطويلة وملكتهم العلائق الدنيوية وخذعتهم ظواهر الدنيا حلّ الشكّ والترديد محلّ اليقين، والشغف بأمور الدنيا محلّ الزهد، وبدأوا يتراجعون أمام أعدائهم ويسلكون سبيل التخلف والانحطاط الحضاري والثقافي، فلا سبيل لهم اليوم لتحديد عظمتهم الأولى سوى إحياء اليقين والزهد وقصر الأمل وذكر الموت والآخرة وعدم نسيانهما.

وفي رواية: أنه اجتمع عبدان من عباد الله فقال أحدهما للآخر: ما بلغ من قصر أملك؟ فقال: أملي إذا أصبحت أن لا أمسى، وإذا أمسيت أن لا أصبح. فقال: إنك لطويل الأمل. أما أنا فلا أومل أن يدخل لي نفس إذا خرج، ولا يخرج لي نفس إذا دخل.

٢٣- وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ١، ص ٤٠٠.

يدركني الموت قبل أن أتوضّأ، فقال له حذيفة: إنّك لطويل الأمل، لكّي أرفع قدمي فأخاف أن لا أضع الأخرى حتّى أموت^{٢٤}.

قد لا يستطيعون أن تكونوا قصيري الأمل بهذه الدقّة ولكن أعينوا رسول الله والأئمة والأولياء قدر مستطاعكم. أعاننا الله على محاربة الهوى وطول الأمل، فانتصارنا عليهما مقدّمة مهمّة لانتصارنا على أعداء الله والإنسانية.

٢٤- أعيان الشيعة، السيّد محسن الأمين، ج ٤، ص ٦٠٣.

الاستغفار والتوبة الحقيقية

أَوَّلُهَا: النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى.

وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَدًا.

وَالثَّالِثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُفُوْفَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَلَسَ عَلَيْكَ بَعَّةً.

وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعَتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا.

وَالْخَامِسُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذَيِّبُهُ بِالْأَخْزَانِ، حَتَّى يَلْصِقَ الْجِلْدُ بِالْعَظْمِ، وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ.

وَالسَّادِسُ: أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ الْمَعْصِيَةِ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ٢٥.

٢٥- نهج البلاغة، الحكمة ٤١٧.

الدرس السادس: الوفاء توأم الصدق

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْوَفَاءَ تَوَامُ الصَّدَقِ وَ لَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْفَى مِنْهُ. وَلَا يَغْدِرُ مِنْ عِلْمِ كَيْفِ الْمَرْجِعِ. وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدْ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْسًا وَ نَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حَسَنِ الْحِيلَةِ. مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، قَدْ يَرَى الْخَوَلُ الْقُلُوبَ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ فَيَدْعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مِنْ لَا حَرِيحَةَ لَهُ فِي الدِّينِ."

نهج البلاغة، الخطبة ٤١.

الجَنَّةُ: بضم الجيم: الوقاية.

الكيس: العقل.

الحَوَّل: البصير بتحويل الأمور.

القلب: الخير بتقلّبها.

ينتهز: يبادر.

الحريجة: التحرّز.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^٣.

﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾^٤.

والروايات في قبح نقض العهد كثيرة منها:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " لا دين لمن لا عهد له " .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: "الخلف يوجب المقت عند الله وعند الناس، قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾" ^{٦٧}.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: "أربعة أسرع شيء عقوبة: رجل أحسنت إليه وبكافئك بالإحسان إليه إساءة. ورجل لا تبغي عليه وهو يبغي عليك، ورجل عاهدته على أمر فمّن أمرك الوفاء به ومن أمره الغدر بك. ورجل يصل قرابته ويقطعونه"^٨.

إِنَّ قَبْحَ نَقْضِ الْعَهْدِ مِنَ الشَّنَاعَةِ بَحِثٌ لَا أَحَدٌ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لَأَنْ يَتَحَمَّلَ مَسْئُولِيَّتَهُ بَصْرَاحَةً إِلَّا النَّادِرَ مِنَ النَّاسِ حَتَّى أَنْ نَاقِضَ الْعَهْدَ يَلْتَمِسُ لَذَلِكَ اعْذَاراً وَتَبْرِيرَاتٍ مَهْمَا كَانَتْ وَاهِيَةً لِتَبْرِيرِ فَعْلَتِهِ .

نقض العهد على نحوين

١- نقص العهد مع الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾^٩.

٣-المائدة: ١,

٤-البقرة: ١٧٧

٥- بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٩٦،

٦-الصف: ٣,

٧- التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج ٥، ص ١٦٨

٨- الخصال، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٢٣٠.

٩- الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣.

ونقض العهد الإلهي من الذنوب الكبيرة.

وقد وصف الله تعالى من ينقض العهد معه بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾^{١١}.

٧٧، . ٧٦ . ٧٥ : التوبة: ١٠

١١-النحل: ٩٢

١٢- انظر: التفسير الأمثل، الشيخ مكارم الشيرازي، ج ٨، ص ٣٠٥.

فما كانت تقوم به رابطة لا يمثّل عملاً بلا ثمر . فحسب . بل هو الحماقة بعينها، وكذا الحال بالنسبة لمن يبرم عهداً مع الله وباسمه، ثمّ يعمل على نقضه، فهو ليس بعاث فقط، وإنّما هو دليل على انحطاطه وسقوط شخصيته.

٢- معاهدة الناس

فيجب الوفاء بالعهود معهم ويحرم نقضها كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^{١٣}.
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^{١٤}، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾^{١٥}. وعن الرسول صلى الله عليه
واله وسلم: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليوفِ إذا وعد."^{١٦}
فهو يشمل العهود والمواثيق الخاصة بين الأفراد في القضايا الاقتصادية والمعاشية، وفي العمل والزواج، وهو يشمل أيضاً
المواثيق والمعاهدات بين الحكومات والشعوب.

خلف الوعد من صفات اليهود والمنافقين

وقد ذم الله تعالى اليهود لاتصافهم بصفة نقض العهود مع الله ومع الناس، يقول تعالى ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾^{١٧}.

نزلت هذه الآية في يهود بني قريظة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يعينوا أعداء الإسلام، ثم نقضوا عهدهم

١٣-الإسراء: ٣٤

١٤-المائدة: ١,

٨٥- المؤمنون: ٨

١٦-بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٤٩

١٧- الأنفال: ٥٥ . ٥٦ .

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في صفات المنافق " :ثلاث من كنَّ فيه كان منافقاً وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم: من إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف"^{١٨}.

قال سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَيْتُمُو إِيَّاهُمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ٢٠.

٢٠- التوبة: ٤ .

يقول الإمام عليّ عليه السلام في خطبة له: "وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرْكَمٍ صَاعًا، وَرَأَيْتُ صَبِيَانَهُ شُعْتَ الشُّعُورِ، غُبَرَ الْأَلْوَانِ، مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُودَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْمِ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكَّدًا، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدَّدًا، فَأَصْنَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي، فَظَنَّ أَيْ أَبْعَثَهُ دِينِي، وَاتَّبَعَ قِيَادَهُ، مُفَارِقًا طَرِيقِي، فَأَخْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَهُ، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَزَّ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيحَ ذِي دَنْفٍ مِنَ أَلْمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا، فَقُلْتُ لَهُ: تَكَلَّتْكَ الشَّوَاكِلُ، يَا عَقِيلُ! أَتَنْتُ مِنْ حَدِيدَةِ أَحْمَاها إِنْسَانُها لِلْعَبَةِ، وَتَحْتَرِقُ إِلَى نَارِ سَحَرِهَا جَبَّارُها لِعَضِّهِ! أَتَنْتُ مِنَ الْأَذَى وَلَا أَتُنُّ مِنَ لَظِيٍّ؟" ٢٩.

سأل معاوية عقيلًا يومًا عن قصة الحديدية المحماة، فبكى وقال: نعم، أقويت وأصابني مخمصة شديدة، فسألته فلم تذك صفاته، فجمعت صبياني وحثته بهم، والبؤس والضرّ ظاهران عليهم. فقال: اثني عشية لأدفع إليك شيئاً، فحثته يقودني أحد ولدي فأمره بالتحنّي، ثم قال: ألا فدونك! فأهويت حريضاً قد غلبني الجشع أضلّتها صرّة، فوضعت يدي على حديدية تلتهم ناراً! فلما قبضتها نذتها وحرّت كما

٢٩- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ج ١١، ص ٢٤٥.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلَا مَخْلُوفٍ مِنْ نِعْمَتِهِ وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ وَلَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ. وَالْدُّنْيَا دَارٌ مَنِيٌّ لَهَا الْفَنَاءُ وَلَا أَهْلُهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ وَهِيَ حُلُوءَةٌ خَضِرَاءُ وَقَدْ عَجَلَتْ لِلطَّالِبِ وَالتَّابِسَتْ بِقَلْبِ النَّاطِرِ فَارْتَحِلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بَحَضَرَتْكُمْ مِنَ الزَّادِ وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ".

نهج البلاغة، الخطبة ٤٥.

معنى القناعة

الرضا بالكفاف يعني القناعة "والقناعة... الرضا بالقسم... وفي الحديث: "القناعة كنز لا يفنى"؛ لأنّ الإنفاق منها لا ينقطع، كلّما تعذر عليه شيء من أمور الدنيا قنع بما دونه ورضي. وفي الحديث: "عزّ من قنع وذُلّ من طمع، لأنّ القانع لا يبدّل الطلب فلا يزال عزيزاً... وفي المثل: خير الغني القنوع، وشر الفقير الخسوع"...

فالقناعة لغة هي الرضا بالقسم، وهو يلتقي مع معناها في المراكز الشرعية حيث تعني القناعة: أن يقنع الإنسان بما قسم الله له من الأمور الدنيوية، بمعنى أنَّ الإنسان إذا كانت طاقته لا تتحمَّل أن يتقدَّم مادياً، وظروفه لا تساعد، فعليه أن يقنع بما هو عليه من المستوى المادي، إلى أن يفتح الله عليه باباً من أبوابه الحلال. وهذا لا يعني أن لا يسعى الإنسان إلى تحسين حاله المادّي إن استطاع عن طريق الكسب الحلال.

ولا تعمُ القناعة الأمور المعنوية، فالإسلام دعا المسلمين إلى التزوّد والتنافس

١- لسان العرب، ابن منظور، ج ٨، ص ٢٩٨.

قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^٢.

وقال سبحانه: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^٣.

المجتمع الغربي والحرص

وإليك تقرير يشهد لما نقول: ففي إحصاء صدر في الولايات المتحدة الأمريكية " أن أكثر من ٦% من السكّان يعانون نوعاً من سوء التوافق (أي تعب نفسي)، وأن واحداً من كلّ عشرة من السكّان يحتاج إلى معونة الطبيب النفسي إن عاجلاً أو آجلاً، وأن واحداً من كلّ ثمانية عشر شخصاً ينفق بعض الوقت في مشفى عقلي، وأن عدد من يدخلون في المشافي في كلّ عام يساوي عدد من يتخرجون من الجامعات، وأن المصابين بأمراض عقلية أي جنون يشغلون من أسرة المشافي أكثر مما يشغله جميع المرضى بكافة الأمراض الأخرى، وأن نصف من يتردّدون على أطباء لعلل جسمية يعانون في الواقع من اضطرابات نفسية".

٥-الصحة النفسية، د. مصطفى فهمي، ص ٧.

فاجتمع الغربي لا يعيش الحياة الطيبة التي تسببها القناعة. سئل الإمام علي عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾^١، قال: "هي القناعة"^٢. فمن الأمور المهمّة في طمأنينة الروح، وسعادة الحياة، وطيب العيش، وراحة البال، القناعة التي هي كنز لا ينفد.

ولعدم القناعة على مستوى الفرد والتي تنسحب على المجتمع آفات كثيرة منها:

٢- الحسد: فإنَّ من لا يقنع بما رزُق، فمن المحتمل أن يقع في آفة الحسد. والوقاية من آفة الحسد والطمع سكينه وعافيه، فعن الإمام علي عليه السلام: "صحة الجسد من قلة الحسد"^١. أمّا الطمع فصاحبه طول حياته هائم وحائر، كيف يجمع ويدخر.

٩٧، ٦-النحل:

٧-میزان الحکمة، الري شهري، ح، ١٧١٢٤

٨- جامع السعادات، الشيخ النراقي، ج ٢، ص ١٠٣

٩- فلسفة الأخلاق في الإسلام، الشيخ محمد جواد مغنية، ص ٢٠٨.

ازداد ولعه بها، واشتدّت حاجته إليها، وتجلّى أمام بصره فقره إليها، بعكس أهل الآخرة الذين أشاحوا بوجوههم عن الدّنيا، فكّلما ازداد توجّههم نحو الآخرة، قلّ التفاتهم واهتمامهم بهذه الدّنيا، وتلاشت حاجتهم إليها، وظهر في قلوبهم الغنى، وزهدوا في الدّنيا وزخارفها، كما أنّ أهل الله مستغنون عن كلا العالمين (الدّنيا والآخرة)،... وكلّ حاجتهم نحو الغنيّ المطلق...^{١٩}.

١٩- الأربعون حديثاً، الإمام الخميني، الحديث ٦، ص ١٢٦-١٢٧.

الإسلام دين التواصل

إنَّ من يراجع مصادر الإسلام، من خلال القرآن الحكيم والأحاديث الشريفة، يرَ بكلِّ وضوح وجلاء، حقيقة وهي: أنَّ كثيراً من وصايا الإسلام وواجباته وأحكامه تدعو إلى إزالة الحجب والحواسر القائمة بين الناس جماعات وأفراداً.

يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

فالقاعدة الأولية في الإسلام هي التعارف والتعاون وتبادل الخبرات بين الأمم فلا ينبغي للمسلمين التقاطع والتحارب مع الشعوب الأخرى، بل السلام والوئام هما الحاكمان على علاقات المسلمين مع غيرهم.

فالإسلام لا يخاف أيّ فكر آخر؛ لأنّه يملك الحجّة والدليل والبرهان على صدقيّته، وإنّما يخاف من لا منطق عنده ولا حجّة.

وكما دعا الإسلام إلى الوئام مع غير المسلمين فبالضرورة دعا إلى ذلك بين المسلمين أنفسهم.

قال تعالى: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^٢.

١- الحجرات: ١٣،

۲- آل عمران: ۱۰۳.


 أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
 www.islamiccoo.com/lms

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoo.com/lms

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأحد ولاته الخونة

من كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبد^{١٩} وقد كان استعمله على بعض النواحي، فخان الأمانة في بعض ما ولّاه من أعماله: "أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ عَزَّيْ مِنْكَ، وَطَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا زُرِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لَا تَدْعُ لِهَوَاكَ انْتِفَادًا، وَلَا تُبْقِي لِأَخِرَتِكَ عَنَادًا، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ أَخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ.

وَلَيْنَ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا، لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ نَعْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى خِيَانَةٍ.

فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ^{٢٠}.

وفد الجارود على النبي صلى الله عليه واله وسلم في سنة تسع، وقيل: في سنة عشر، وذكر صاحب الاستيعاب: أنه كان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه.

١٩- اسم الجارود بشر بن خنيس بن المعلی، وإنما سمي الجارود لبيت قاله بعض الشعراء فيه في آخره: كما جرد الجارود بكر بن وائل.

٢٠- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٨، ص ٥٤.

أهميّة الزمن

يقسم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بالزمان، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾^١. ﴿وَالصُّحَى﴾^٢. وفي قوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ﴾^٣.

وما تلك الأقسام بالزمان إلّا للإشارة إلى أهميّة الزمان. والزمان مؤلّف من ماض وحاضر ومستقبل، ومن الضروريّ للإنسان أن يعرف الماضي أي التاريخ الذي مضى على الناس أفراداً وجماعات؛ ليعتبر ويتعظّ، فيأخذ بحسنات الماضي ويترك سيئاته وضلاله وهفواته. يقول الإمام عليّ عليه السلام في وصيّته للإمام الحسن عليه السلام " : أي بُنيّ إنّي وإن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم، وفكّرت في أخبارهم، وسرت في آثارهم حتّى عدت كأحدهم. بل كأني بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمّرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من

١-العصر: ١. ٢. ٣.

٢-الضحى: ١،

٣- المدثر: ٣٤.

معرفة الحاضر والمستقبل

وهذا ما أشار إليه أمير كلِّ زمان الإمام عليّ عليه السلام: "حسب المرء... من عرفانه، علمه بزمانه" وعنه عليه السلام: "أعرف الناس بالزمان، من لم يتعجّب من أحداثه"، وعنه عليه السلام: "مَنْ أَمِنَ الزَّمانَ خانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهانَهُ"^٦. و في وصية أمير المؤمنين للحسن صلوات الله عليهما "يا بُنَيَّ إِنَّهُ لَا بَدَّ لِلْعَاقِلِ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ فِي شَأْنِهِ، فَلْيَحْفَظْ لِسَانَهُ، وَلْيَعْرِفْ أَهْلَ زَمَانِهِ"^٧.

٤- نهج البلاغة، الخطبة، ٣١

٥- عيون الحكم والمواعظ، على بن محمد الليثي الواسطي، ص ١٢٦

٤٣١-٦ م. ن، ص، ٤٣١

٧- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٦٨، ص ٢٨١

٨-الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٢٧.

فَعَلَيْنَا أَنْ لَا نَضَعَ الْحَقَّ عَلَى الزَّمَانِ فِي فَشْلِنَا وَتَرَاجَعْنَا وَاهْزَأْنَا فِي ﴿۱۰﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴿۱۱﴾

يعيب الناس كلهم زمانا

نعيب زماننا والعيب فينا

وإنّ الذئب يترك لحم ذئب

لبسنا للخداع مسوك طيب

علم الأنبياء والأئمة بزمانهم

إنّ معرفة العصر في الحقيقة أحد العناصر الأصلية للوعي السياسي والاجتماعي. وكلّما ازدادت معرفة القارئ بشعبه وأدرك مطالبه وحاجاته المادية والمعنوية بنحو أدقّ وأحاط بنقاط قوّته وضعفه كان أنجح.

ولا جرم أنَّ الأنبياء عليهم السلام جميعاً كانوا يتسمون بهذه الصفة.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: "ما كنتم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم العباد بكنه عقله قط". قال

١٠- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٩، ص ١١١.

رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : إِنَّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم^١.

وتدلّ دراسة سيرة النبي صلى الله عليه واله وسلم - من منظار معرفته بزمانه وإدراكه لمتطلّبات عصره - على أنّه نموذج بارز للقائد العارف بزمانه، يتلوه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والأئمّة من بعده.

وفي عصرنا الحاضر الوليّ الفقيه هو من يتولّى قيادة الأمة فهو العارف بزمانه فلذلك لا تهجم عليه اللوايس، فينبغي لنا إطاعته ففي طاعته هدي من الضلال وأمان من الفتنة ومن كيد الأعداء.

....يقول الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه في دور معرفة الزمان في هداية الناس وقيادتهم، وفي ضرورة الاطلاع على متطلبات العصر بوصفه شرطاً للاجتهد "الزمان والمكان عنصران حاسمان في الاجتهاد. والمسألة التي كان لها حكم في الماضي ربّما يكون لها حكم جديد في العلاقات التي تحكم الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية لنظام من الأنظمة. أي :إن المعرفة الدقيقة للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تجعل الموضوع الأوّل الذي لم يختلف عما كان عليه في الماضي من حيث الظاهر موضوعاً جديداً يتطلّب حكماً جديداً لا محالة.

وينبغي للمجتهد أن يلمّ بقضايا عصره. ولا يستسيغ الناس والشباب بل حتّى العوام أن يقول المرجع والمجتهد: لا رأي لي في القضايا السياسية، فلاطلاع على كيفية التعامل مع الاقتصاد العالمي، ومعرفة ضروب السياسة والسياسيين ومعادلاتهم المفروضة، وإدراك الموقع الذي يحتله النظام الرأسماليّ والشيوعيّ في العالم، والتعرّف على نقاط قوتهم وضعفهما إذ هما اللذان يحدّدان استراتيجية التسلّط على العالم، كلّ ذلك من صفات المجتهد الجامع.^{١٢}

١١- الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٢٣،

١٢- صحيفة النور، ج ٢١، ص ٩٨، نداء الإمام إلى علماء البلاد ومراجع المسلمين بتاريخ ١٥ رجب ١٤٠٩ هـ.

فلا يمكن أن يتحقق نجاح هذه التعاليم وبغير هذه الوسائل، ومن هذه التعاليم المهمة المعرفة بالزمان. فالنجاح في الحياة والانتصار يقتضيان الوعي ولا يكفي الإيمان الساذج البسيط.

نين الإمام عليّ عليه السلام في محراب العبادة

دخل ضرار بن ضمرة الكتّاني على معاوية فقال له: صف لي عليّاً.

فقال: أوتعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أعفيك!

قال له: وإذ لا بدّ منه فإِنَّه والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته! كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلّب كَفّه ويخاطب نفسه، ويعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشِب! كان والله كأحدنا يديننا إذا أتينا، ويحيينا إذا سألناه، وكان مع تَقَرُّبه إلينا وقربه مثلاً نكلّمه هيبه له، فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، كان يعظّم أهل الدين، ويحبّ المساكين، لا يطمع القويّ في باطله ولا يئأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لقد رأيتُه في بعض مواقفه. وقد أرحى الليل سدوله وغارت نجومه. يتمثّل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تملل السليم ويبكي بكاء الحزين، فكأنّي أسمعُه الآن وهو يقول: يا ربّنا يا ربّنا. يتضرّع إليه. ويقول للدنيا: أبي تعرّضت؟ أليّ تشوّقت؟ هيهات هيهات غرّي غري قد طلّقت ثلاثاً فعمرك قصير، وعيشك حقير وخطرك يسير، آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق.

فوكفت دموع معاوية عليّ، لحيته ما يملكها وجعل ينشّفها بكمّه، وقد اختنق القوم بالبكاء^{١٣}.

١٣- نهج السعادة، ج ٣، ص ١٩٩.

کیف نذکر ما نخاف؟

يوصي الإمام عليّ عليه السلام في هذه الخطبة من نهج البلاغة بذكر الموت والحال أنّ أكثر الناس يخاف الموت، فكيف نوصيهم بذكره؟ فإنّ الإنسان يتعدّد عن ذكر ما يخيفه، وينساه أو يتناساه لكي لا يتأمّ ولا يقلق ولا يزعج باله ويشغل خاطره.

أسباب الخوف من الموت

في الحقيقة إنّ للخوف من الموت أسباباً:

١- الخوف من الفناء والعدم

إنَّ كراهة معظم الناس للموت وخوفهم منه لأجل أنَّ الإنسان حسب فطرته التي فطرها الله سبحانه، وجبلته الأصيلية، يحبُّ البقاء والحياة، ويتنقَّر من الفناء والممات، وحيث إنَّ في فطرة الإنسان هذا الحبُّ وذاك التنقَّر، فإنَّه يحبُّ ويعشق ما يرى فيه البقاء، ويحبُّ ويعشق العالم الذي يرى فيه الحياة الخالدة، ويهرب من العالم الذي يقابله. وحيث إنَّ كثيراً من الناس لا يؤمن بإيماناً يقينياً بعالم الآخرة، ولا تطمئنُّ قلوبهم نحو الحياة الأزلية، والبقاء السرمديّ لذلك العالم، فإنَّهم يحبُّون هذه الدنيا، ويهربون من الموت حسب تلك الفطرة والجليلة.

٢- الجهل بالموت

وعن الإمام العسكري عليه السلام: "دخل عليّ بن محمد على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت، فقال له: يا عبد الله تخاف من الموت لأنك لا تعرفه، رأيته إذا أتسخت وتقدّرت وتأذّيت من كثرة القدر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أنّ الغسل في حمّام يزيل ذلك كلّهُ أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك أو تكره أن تدخله فيبقى ذلك عليك؟ قال: بلى يا ابن رسول الله، قال: فذاك الموت هو ذلك الحمّام، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيئاتك، فإذا أنت وردت عليه وجاوزته فقد نجوت من كل غمّ وهمّ وأذى، ووصلت إلى كلّ

٢- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٦، ص ١٥٦.

سرور وفرح، فسكن الرجل واستسلم ونشط وغمض عين نفسه ومضى لسبيله".

٣- الخوف من العقاب

ومثل هذا الخوف يلاحق المذنبين المؤمنين بالآخرة، فيخافون أن يحين حينهم وهم مثقلون بالآثام والأوزار، فينالوا جزاءهم، ولذلك يودّون أن تتأخّر ساعة انتقالهم إلى العالم الآخر.

ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: "لا تكن ممّن... يكره الموت لكثرة ذنوبه، و يقيم على ما يكره الموت له... يخشى الموت، و لا يبادر الفوت".

وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: "جاء رجلٌ إلى أبي ذرٍّ فقال: يا أبا ذرٍّ ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنَّكم عمَّرتُم الدنيا وأخربتم الآخرة، فتكرهون أن تُنقلوا من عمرانٍ إلى خرابٍ، فقال له: فكيف ترى قُدومنا على الله؟ فقال: أما المُحسِنُ مِنكم فكالغائبِ يَقْدُمُ على أهله، وأما المُسيءُ مِنكم فكالآبقِ يُرَدُّ على مؤلَّاه".... .

هذه الأسباب للخوف من الموت . خوف العدم والجهل بالموت وخوف العقاب - عاجلها الإسلام حيث أحيأ في القلوب الإيمان باليوم الآخر، وبذلك أبعد شبح الفناء والانعدام من الأذهان، وبَيَّن أنَّ الموت انتقال إلى حياة أبدية خالدة منعمّة.

ومن جهة أخرى دعا الإسلام إلى العمل الصالح والابتعاد عن عصيان الله تعالى، كي يتبعد الإنسان عن الخوف من العقاب.

التهیّو لساعة الموت

وكوننا نحن مؤمنين بالحياة بعد الموت وأنه ليس فناءً وأنه قنطرة نعبورها إمّا الى جنة وإمّا الى نار- كما عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم " : الموت الموت ! ألا ولا بدّ من الموت،

٣-بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٦، ص ١٥٦

٤- نهج البلاغة، الحكمة، ١٥٠.

٥- الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٤٥٨.

وعن الإمام عليّ عليه السلام: "وبادروا الموت وغمراته، وامهدوا له قبل حلوله، وأعدّوا له قبل نزوله".^{٨١}

فالإنسان الحكيم لا يغمض عينيه عن الأمور الخطيرة والمصيرية ولا يفعل كالنعامة التي تضع رأسها في التراب متوهّمة أن الذئب الآتي إليها لن يفتريها!

الإنسان الحكيم يتهبّ للأمر الخطيرة والمصيرية ولا ينساها ولا يتناساها لأنها لا تنساه.

فالموت لا ينسانا وإن نسيناه أو تناسيناه "وكيف غفلتكم عمّا ليس يغفلكم، وطمعكم فيمن ليس يمهلكم؟".

٦- جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج ١٤، ص ٦٠.

٧- نهج البلاغة، الخطبة، ٦٤

٨-م. ن، الخطبة ١٩٠.

لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٩﴾

فالإِنسان المؤمن عليه أن يفكر في الحياة الدنيا وفي الموت الذي هو قنطرة للحياة الأبدية الباقية: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ * فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ﴿١٠﴾ .

ولكنّ المؤسف أنّ الإنسان يفكر في دنياه الزائلة ولا يفكر في الموت الذي هو باب إلى الآخرة الى الحياة السرمدية، بل إنّ التفكير بالموت له تأثير على حياته الدنيوية فضلاً عن آخرته.

فإنَّ وجهةَ نظر الإنسان نحو الموت وما بعده مهمّةٌ جداً في حياته، فكَلِّمًا كانت نظرتَه واقعيّةٌ وموضوعيّةٌ وصحيحةٌ، كَلِّمًا كانت حياته سعيدةً ونشطةً ومتحرّكةً ومتفائلةً، والعكس صحيحٌ أيضاً.

فتركيبه الإنسان النفسية ومن ثم سلوكه وأخلاقه تتأثر جداً من خلال نظرته إلى الموت وما بعده.

فليس التفكير في الموت وما بعده أو بالأحرى ليس الاعتقاد بوجهة نظر معينة تجاه الموت وما بعده فكرة عابرة تمر بالخيال وترحل، ولو حاول الإنسان أن يخرجها من خياله وشعوره، فإنها ستنزل رغماً عنه إلى لا شعوره وعقله الباطنيّ وكيانه النفسيّ وتطبعه بطابع معيّن إمّا سلباً أو إيجاباً.

فعلى هذا ليس التفكير في الموت وما بعده موتاً بل حياة، أي له دخالة في حياة الإنسان وبنائه الروحي والنفسي والعقلي.

وأنتم إذا دققتم جيداً ستعرفون؛ أنّ الإنسان إذا كانت نظرته إلى الموت على أنّه فناء ستكون تركيبته النفسية معقدة خائفة متشائمة مضطربة مستهترة متحللة،

٢, ٩-الملك:

١٠-البقرة: ٢١٩ . ٢٢٠ .



ولهذا الاعتقاد درجات يترقى فيها الإنسان حتى يصبح الموت بالنسبة له أمراً عادياً على حدّ تعبير الإمام عليّ بن الحسين: " لا أبالي وقعنا على الموت أو وقع الموت علينا."

١٦-الحشر: ١٤.

وكان مما قاله الإمام عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه على شريعة الفرات:

«قَدْ اسْتَطَعْمُوكُمُ الْقِتَالَ، فَأَقْرَبُوا عَلَى مَذَلَّةٍ، وَتَأَخَّرَ مُحَلَّةٌ، أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرَوُّوا مِنَ الْمَاءِ، فَاَلْمُوتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَشْهُورِينَ، وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ.

أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَّةً مِنَ الْغَوَاةِ وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ، حَتَّى جَعَلُوا خُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَيِّتَةِ»^{١٨}.

١٨- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٣١٢.

صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٣﴾ .

﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾^٤ .

وحسب القرآن عظمة وكفاه منزلة وفخراً وفضلاً أنه كلام الله العظيم، ومعجزة نبيه الكريم، وأن آياته هي المتكفلة بمهياة البشر في جميع شؤونهم وأطوارهم وفي جميع أحيالهم وأدوارهم، وهي الضمينة لهم بنيل الغاية القصوى والسعادة الكبرى في العاجل والآجل.

هو كلام الله و"فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه"^{٥٠}.

هو وصية الرسول صلى الله عليه واله وسلم الأولى والثقل الأكبر الذي خلّفه قائلاً: "إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما، وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض".

يصف الإمام عليّ عليه السلام كتاب الله ويبيّن منزلته حين يقول "ثم أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحُه، وسراجاً لا يخبو توقُّدُه، وبحراً لا يدركُ قعرُه، ومنهاجاً لا يُضِلُّ نهجُه، وشعاعاً لا يُظلم ضوءُه، وفرقاناً لا يخطئ بُرْهانه، وتبياناً لا تهدم أركانه، وشفاء لا تُخسى أسفامُه، وعزاً لا تُهزم أنصارُه، وحقّاً لا تُخدَلُ أعوانُه.

فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينايع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافي الإسلام وبنياه، وأودية الحقّ وغيطانه، وبحرٌ لا ينزفُه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون، ومنازل لا يضلّ نهجُها المسافرون، وأعلامٌ لا يعمى عنها السائرون، وآكامٌ لا يجوز عنها القاصدون.

۳- إبراهيم: ۱

٤-آل عمران: ١٣٨

٥-بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٦، ص ٨٩،

٦- الحديث متواتر رواه خمسة وثلاثون صحابياً (راجع مصادره في خلاصة عقبات الأنوار الجزء الأول والثاني).

اعتراف المفكرين بعظمة القرآن

٧- نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨، بمجوحته: وسطه، وأثافي: جمع أنفئة، وهي ما يوضع عليه القدر، فالمراد أنه قواعد الإسلام وبنائه. غيظانه: المستقر من الأرض. الماتحون: الذين ينزحون الماء من البثر أو العين.

لا يغيضها: لا ينضبها، غيض الماء: جفّ ونضب. معقلاً: ملجأ، ذروته: أعالیه. فلجاً: الفلج هو الظفر والغلبة، استلأم: لبس اللأمة أي الدرع، والجلّة: الوقاية، فهو وقاء لمن أراد أن يدرع ليقى نفسه الأخطار.

٨- قصة الحضارة، ول ديورانت، مج ١-٢، ج ١، ص ٤٨، دار الجيل.

كأديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamicco.com/lm

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms


 أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoo.com/lms

فهو لنا وليّ ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، وما تنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع^٨.

إنّ كثيراً من الروايات جاءت دالة على نفس هذا المعنى وفيه تحذير واضح لكلّ من ادّعى محبة وودّ وولاية أهل البيت ولم يعمل بعملهم، فالأمر الإلهي بمودّتهم عليهم السلام لا عن عبث بل المراد منه أنّهم وصلوا إلى هذه الدرجة بطاعتهم لله فكلّ عمل يقدمون عليه لا يمكن أن تشوبه شائبة المعصية، وإلّا فكيف يأمر الله تعالى بمودة العصاة ومحبتهم، إنّ سبحانه يأمر بمودة المطيعين، لأنّ محبتهم من محبة عملهم، فإن كنت من أهل هذا الحبّ فعليك بالعمل الموافق له، وإلّا تكون كما قال الفرزدق للإمام الحسين عليه السلام في وصفه لأهل الكوفة: "قلوبهم معك وسيوفهم عليك".

الافتداء بالإمام عليّ عليه السلام في جميع الأبعاد

وفي هذا يقول الإمام الخميني: "نُقل عن أمير المؤمنين عليه السلام شغله بعامة المسلمين وفكره بالجانحين، فكان يُعاني شظفَ العيش وشدةَ الجوع خشية أن يكون أحد في الثغور الإسلامية من هو أكثر جوعاً منه.

ذلك أميرنا، هو سيّدنا، إمامنا، وما أكثر ما نقول عنه : إمامنا، ولا نقتدي به!

فليس لنا اقتداء في الأعمال، أهدأ هو معنى الإمام؟! في حين أنّ معنى الإمام والشيعة هو أن يتقدّمهم، ويقتفوا أثره(فلو كان هناك جنازة فيها نعش ومن يريد تشييع صاحب النعش يمشي في طريق غير طريقه أكان يسمى مشيِّعاً؟!)

هكذا يجب أن يكون الشيعة؛ أن يتبعوا علياً - عليه السلام - (في أعماله وأفعاله) ولا قدرة لنا طبعاً أن نكون مثله (يعني أن نصل إلى مقامه ومنزلته). لا أحد يمتلك هذه القدرة، لكن (بالإمكان أن) نتبعه في الزهد والتقوى والانتصار للمظلومين ومساعدة الفقراء^{٩٠}.

٨- الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٧٥

٩- صحيفة نور، ج ٨، ص ١٩.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoo.com/lms

مَن نصر الإمام الحسين عليه السلام بكرلاء ووقاه بنفسه الحتوف وحدّ السيوف.

نقول في زيارته عليه السلام "لبيك داعي الله، إن كان لم يجبك بدني فقد أجابك قلبي وشعري وبشري ورأبي وهواي"^{١٢}.

١٢- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص ٣٨٨.

عاشق الإمام عليّ عليه السلام مع أحد الحاقدين

قال: ويلك، أنظر ماذا تقول. أسرقت؟ قال: نعم.

فقال له: ثكلتك أمك إن قلتها ثانية قطعت يدك، أسرت؟

قال: نعم، فعند ذلك قال عليه السلام: اقطعوا يده، فقد وجب عليه القطع، قال: فقطعت يمينه، فأخذها بشماله وهي تقطر، فاستقبله رجل يقال له ابن الكواء فقال له: يا أسود من قطع يمينك؟ قال له: قطع يميني سيّد الوصيّين، وقائد الغر المحجلّين، وأولى الناس باليقين... خاتم الأوصياء لصفوة الأنبياء، القسور الهمام، والبطل الضرغام، المؤيّد بجبرئيل، والمنصور بميكائيل المبين، فرض ربّ العالمين، المطفي نيران الموقدين، وخير من نشأ من قریش أجمعين، الخفوف بجند من السماء، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام على رغم أنف الراغمين، ومولى الخلق أجمعين.

قال: فعند ذلك قال له ابن الكوّاء: ويلك يا أسود، قطع يمينك وأنت تثني عليه هذا الشاء كلّهُ؟ قال: وما لي لا أثني عليه وقد خالط حبّه لحمي ودمي؟ والله ما قطع يميني إلّا بحقّ أوجبهُ الله تعالى عليّ.

قال ابن الكوّاء: فدخلت إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقلت له: يا سيّدِي رأيت عجباً.

الفهرس

٥	المقدمة
٧	١ - حكمة الاختبار
٩	الامتحان الإلهي سنة خالدة
١٠	لماذا الاختبار الإلهي؟
١١	الاختبار الإلهي عام
١٢	طرق الاختبار
١٧	٢ - كيد الشيطان
١٩	أخلاق الشيطان
٢١	خُطُواتِ الشَّيْطَانِ
٢٢	ما يساعد الشيطان على الإنسان
٢٧	٣ - الشيطان أضعف ركنًا
٢٩	ما يساعد الإنسان على الشيطان
٣٠	قصة لطيفة
٣٢	إنَّ كيد الشيطان كان ضعيفاً

١٢١	١٢ - محبة أهل البيت عليهم السلام
١٢٣	تمهيد
١٢٤	لماذا أمرنا الله سبحانه وتعالى بمحبتهم عليهم السلام ؟
١٢٦	كيف تكون المحبة؟
١٢٧	الافتداء بالإمام علي عليه السلام في جميع الأبعاد
١٢٨	أهوى أخيك معنا؟
١٣٣	الفهرس